ذات البين

قصة قصيرة عن أحداث حقيقية

بقلم : شيماء حويرة

"اللهم أصلح ذات البين"..

تردد هذا الدعاء كثيرًا وتصاعد صداه إلى السموات السبع، كان الرب يعلم من صاحب هذا الدعاء ويعلم ما في نفس صاحب هذا الدعاء من صدق ورغبة قوية في تلبية الله لدعائه ويصلح بينه وبين زوجته السابقة، والأعجب من ذلك فإن الزوجة السابقة لهذا الداعي هي أيضًا تدعو بنفس الدعاء، وبنفس الصدق، وبنفس الرغبة في تلبية ربها دعوتها.

تعجبت الملائكة من دعوتيهما، فدخل أحد الملائكة إلى عرش الرحمن وخر ساجدًا، ثم نهض في استحياء شديد وقبل أن ينطلق لسانه ابتسم الرب وقال له: أعلم أنهم أرسلوك ليعلموا هل سألبي دعوة الزوجين أم لا؟

أجاب الملاك في استحياء: لا نعلم إلا ما علمتنا. ابتسم الرب وقال: سألبي دعوتيهما، فأنا أرى الكثير من الصدق فيها، ولكن

قبل أن ألبي الدعوة يجب أن ألقنهما حكمتي أولا. لمعت عينا الملاك، فهو يتحرق شوقًا لكي يعلم كيف سيلبي الله دعوتيهما.

نعود إلى الأرض بين بني الإنسان لكن قبل أن يلتقي الزوجان، فلنستقل آلة الزمن ونعود به نحو خمس سنوات للماضي، كانت "سهام" فتاة حائرة دومًا، حيث كان يؤرقها معرفة الهدف من خلقها ووجودها في هذه الحياة، كما كانت متواضعة لدرجة أنها ترى نفسها بلا قيمة أو أنها جاءت غلطة.

نعم.. كانت ترى نفسها غلطة قدرية، كانت التساؤلات تنهش عقلها كأسد ينهش غزالة صغيرة، لا حول لها ولا قوة، كانت طفلة لأسرة مستورة كما يصف حالها مجتمعها، فأسرتها لم تلجأ إلى الاستدانة إلا أحيانًا قليلة جدًا وكان المبلغ صغيرًا.

كانت "سهام" الابنة الكبرى انطوائية لحد ما، وبالرغم من ذلك كانت شهيرة في مدرستها، حيث كان يُشهد لها بأنها تلميذة مثالية، قلما تخطئ، تفعل دائمًا ما يطلب منها. لم تتذمر يومًا من كثر الواجب مثل أقرنائها بل كانت تنصاع صاغرة إلى متطلبات المعلمين الدراسية، كبرت "سهام" وانتقلت إلى المرحلة الإعدادية ثم الثانوية ثم الجامعة حيث تخرجت في كلية العلوم، ثم بدأت

تجهز لنيل درجة الماجيستير، فعملت في إحدى المعامل التحليلية في مدينتها لكي تنفق على دراستها.

طوال تلك السنوات كان يؤرقها تلك التساؤلات التي حولت حياتها جحيمًا، حيث لم تجد لها إجابات، كانت تتساءَل دائمًا، لماذا يا رب خلقتني؟ ما دوري في تلك الحياة؟ هل جئت بي لأكون باحثة وأدرس الأمراض وأساعد الناس من خلال هذا الطريق؟، هكذا أسكتت تلك التساؤلات بالمضي قدمًا في تلك المهمة وهي استكمال دراستها وأن تهب حياتها للعلم، كانت قد رضيت بذلك الدور وأحبت نفسها، لكن تدخل المجتمع ولم تنعم بالراحة والهدوء كثيرًا.

فبعد أن تخرجت، بدأ المحيطون بها يفاتحونها في موضوع الزواج وترددت على مسامعها، أن الفتاة "مسيرها للزواج" مهما وصلت، كانت منزعجة جدًا من تلك الفكرة - أن تتزوج، هي لا تعلم شيئًا عن الزواج سوى أنه مشروع اجتماعي فاشل - في وطنها على الأقل، قد يكون ناجحًا في وطن آخر، ولكن ماذا تفعل لخلية النحل التي تطاردها صباحًا ومساءً من الجيران والأقارب والأسرة التي تريد أن تزوجها لترى أول حفيد أو حفيدة لها،

اضطرت "سهام" للانسياق لأصواتهم المتلاحقة، وأخيرًا وافقت على الفكرة وسمحت لهم بعرض الخُطَّاب عليها.

كانت تسمح للشباب بأن يتقربوا منها من أجل الزواج ولكنها لم تكن مقتنعة بما يعرض عليها من خُطَّاب، والشباب الذين كانوا يتقربون منها لم يصلوا إلى باب منزلها، فقد كانت تتصادم معهم فكريًا وعقائديًا، فكان التعارف لا يدم طويلا، فقد كانت تريد رجلا يشبهها في المعتقدات حتى لا يؤثر اختلافهما في المعتقدات سلبيًا على أطفالهما فيما بعد.

بدأت تكبر بالسن، قاربت السابع والعشرين خريفًا، فحياتها لم تكن ربيعًا. في تلك الأثناء كان هناك شابًا زميلها لم تتحدث معه أبدًا، بالكاد كانت تعرف اسمه الأول، حيث لم تكن تنتبه إليه حيث كانت مهتمة بدراستها فقط آنذاك، كان هذا الشاب يدعى "فاضل"، كان من إحدى القرى التابعة لإحدى المدن من ذات المحافظة التي كانت تعيش فيها "سهام"، كان هذا الشاب قد توفي والده منذ أن كان في المرحلة الإعدادية، وكان يكبره أخٌ تولى رعايته ورعاية الأسرة بعد أبيه.

كان هذا الشاب طيباً ووفيًا لجميل أخيه الذي رعاه حتى تخرج في كلية العلوم، لكنه بمرور السنوات أصبح أسيرًا لهذا المعروف.
كان "فاضل" زميلاً لسهام التي وقع في محبتها منذ أن وقعت عيناه عليها، لم يجرؤ يومًا بأن يحدثها، حاول مرة أن يحدثها بعد تشجيع حار من صديقة له بالتجرؤ لمحادثتها، ولكن ما إن وقف أمامها حتى أصبح أبكمًا لا يقدر على النطق، توسل في قرارة نفسه للحروف الأبجدية ألا تتخلى عنه في تلك اللحظة، ولكن هيهات قد خذلته الحروف ووقف أمامها كأحد التماثيل اليونانية القديمة التي تبوح بالمشاعر دون أن تنطق، وهذا ما أدركته "سهام" في تلك اللحظة، حيث شعرت بإعجابه بها، وأنها كانت تلحظ نظراته المسروقة إليها من الحين للآخر، ولكنها كانت تفضل الشاب الشجاع الذي يبوح بحبه ولا يخشى شيئًا، فالذي لا يخشى البوح بمحبته لمحبوبته يحافظ على حبه وعلى محبوبته ولا يفرط فيها أبدًا، هكذا كانت تعتقد "سهام"، وكانت تلك نظرتها في الحب ولم، ولن تتغير.
تخرج الاثنان ولم يتقابلا أبدًا طوال سبع سنوات، بعد تخرجه دخل الجيش لمدة ثلاث سنوات ثم بدأ في البحث عن عمل في

أحد المعامل في إحدى المدن الكبرى البعيدة عن قريته، وبعد أن استقر في عمل مناسب ثم بدأت عائلته بالبحث عن عروس مناسبة له من وجهة نظرهم، وقد كان ما كان وقد خطب فتاة حاصلة على دبلوم.

كانت على قدر من الجمال القروي المعهود في قريتهم، وانصاع لرغبتهم وتمت الخطبة. لم يكن قد نسي فتاة أحلامه "سهام" لكنه ظن خطأً أنها قد تزوجت، ففتاة مثلها لن تتأخر في الزواج، استمرت خطبته لمدة عام، حاول جاهدًا فيها أن يتقرب لهذه الفتاة التي حاولت هي الأخرى أن تتقرب منه ولكن لم ينسجما رغم تلك المحاولات الحثيثة من الطرفين. يبدو أن القدر لم يرضَ عن تلك الزيجة، وفُسخت الخطبة، وذهب كل منهما في طريقه.

وبعد عام لعب القدر دورًا في أن يتم شمل "فاضل" و"سهام" من خلال وسائل الاتصال الحديثة المدعوة "فيس بوك" حيث اقترح أحد أصدقائه بأن يبحث عن "سهام" من خلال تلك الوسيلة، وبسؤال زملاء الدفعة الموجودين على شبكة التواصل الاجتماعي "فيس بوك" عن حسابها حتمًا سيجدونه.

وبالفعل تمكن من الوصول إليها من خلال تلك الوسيلة، فأرسل لها طلب صداقة وقد وافقت عليه لمجرد أنها تذكرت أنه دفعتها وكان زميل لها في الدراسة، أراد أن يعرض عليها فكرة الزواج بها ولكن لم يملك الشجاعة ليفاتحها، فبحث في أصدقائها عن قريب لها يتواصل معه ويكون وسيطًا بينهما وتم له ما أراد ووجد أحد الأقرباء لها وجار لها في نفس الوقت، فذهب إلى أهلها وفاتحهم في الأمر.

فوافق الأهل على التعارف أولا وتم التعارف بين الأسرتين حيث التقت الأسرتان في ثلاث لقاءات، وتمت الخطبة بعد ذلك، ثم كتب الكتاب ثم الزواج. كل ذلك بعد عام من أول لقاء تعارف بين الأسرتين، وبعد حفل الزفاف وانقضاء ليلة الدخلة، وفي الصباح أول صدام حضاري بين "سهام" العروس وبين عادات وتقاليد تلك القرية التي صارت سجنًا لها طوال عامها الأول من الزواج.

من الجدير بالذكر أن "سهام" كانت تعيش بعد زواجها في قرية لمدينة بعيدة جدًا عن مسقط رأسها، كانت بمفردها، واجهت كل شيء وهي بعيدة عن أي دعم من أهلها. حاولت أن تتأقلم

وتتعلم كل شيء، وبالفعل استطاعت في شهور قليلة استيعاب كل شيء لأنها كانت تريد أن تحافظ على بيتها.

قد أنعم الله عليها بالحمل في ولد، بعد شهرين من زواجها، بدأت أعراض الحمل المؤلمة تظهر عليها وأنهكتها جدًا.

في ظل تلك الظروف اكتشفت أن زوجها قد كذب عليها في أن أهله موافقون على زيجته منها ولكن اكتشفت أنهم وافقوا على المضض بعد أن هددهم بأنه لن يتزوج غيرها، فوافقوه ولكنهم فعلوا ذلك ليثبتوا بعد ذلك له أن اختياره كان غير موفقا وكان لابد له أن يستمر في خطبته من تلك الفتاة التي اختاروها له.

عاشت " سهام " بحيما بسبب ذلك فقد حاول أهله جاهدين مصرين أن يثبتوا له بأن زوجته التي اختارها غير مناسبة تمامًا ولك أن تتخيل ما حدث لسهام في تلك الفترة من مقارنة ظالمة بينها وبين خطيبته السابقة كانت "سهام" تجهد نفسها كثيرًا في إرضاء أهل زوجها الذى كان يتركها بالأيام حيث كانعمله في مدينة بعيدة يضطر أن يمكث فيها بالأيام ويأخذ أجازة يومين فقط.

كانت تحاول في تلك الفترة أن ترضي أهله وتتحامل على نفسها وقالت في نفسها: عندما سيأتي الولد وحتمًا ستتغير معاملتهم لي، ولكن لم تتغير المعاملة وقد تم استنزاف قواها خاصة بعد الإنجاب.

مرضت مرضًا شديدًا وكانت تحتاج إلى عناية بعد الولادة لذا عادت إلى أهلها حاملة معها رضيعها لم يكن في نيتها التخلص من سجنها بالطلاق فبعد أن تم شفاؤها طلبت من أهلها اللجوء لمكتب تسوية النزاعات الأسرية لحل مشكلتها مع زوجها ولكن لم يتم حل مشكلتها فكان أهل زوجها قد شحنوه سلبًا تجاها فلم يكن منها إلا أن تلجأ إلى الطلاق حيث لم تجد أن زوجها لديه القدرة في حل المشكلة فهو يميل إلى الهروب من حل أي مشكلة وكان هذا عيبه الأكبر الذي لم تتحمل العيش معه فهذا العيب قاتل للطموح وقاتل للحياة الزوجية السعيدة فكثيرًا ما يعصف بالزوجين مشاكل جمة ومختلفة فلكي تستمر الحياة يجب مواجهة المشاكل لا الهروب منها.

اضطرت "سهام" للطلاق الذي تم وكانت على أمل أن يفيق زوجها من غفلته ويبحث عن حل لمشكلتهما ولكنه آثر الهروب فتلك عادته. لجأت "سهام" إلى العمل بعد الطلاق، لم تجد عملاً مناسبًا إلا العمل بإحدى الحضانات وتنقلت بين الحضانات، حاولت أن تعود إلى عملها السابق قبل الزواج ولكن لم تجد فرصة في عودتها.

استمرت في العمل رغم أن حالتها الصحية تتدهور طرديًا مع المجهود الخارق الذي كانت تبذله، كانت تريد أن تثبت لنفسها قبل أن تثبت لطليقها أنها قادرة على المضي قدمًا في تربية ابنيهما بمفردها دون مساعدته، اكتشفت أن ابنها مصابًا بالتوحد ولكن بدرجة يمكن علاجها إذا واظبت على علاجه والاهتمام به. كانت تقوم بدور الأب والأم معًا ولكن كما يقولون في الأمثال "صاحب بالين كذاب".

لم تستطع أن توفق بين الدورين، اكتشفت أن دور الأب يطغى على دور الأم وأنها لا تجد الوقت الكافي والطاقة اللازمة لرعاية طفلها حيث كانت رعاية طفلها من قبل أخواتها وأمها اعتمدت عليهن كثيرًا، عندما لاحظت أن طفلها في مرحل عمرية حرجة

يحتاج لوجود والدته باستمرار فكان لزامًا عليها أن تقلل ساعات العمل ولجأت إلى "بنك ناصر الاجتماعي" لتلقي النفقة.

كانت لا تريد أن تطلبها من طليقها فغضبها منه مازال يسيطر على قلبها لأنه تخلى عنها وهرب من حل مشكلتها واستسلم للطلاق وأهمل ابنه طوال تلك السنوات هربًا أيضًا من الاصطدام بوالد "سهام" الذي كان مصرًا على ألا يرَى طليق ابنته طفله بسهولة وعليه أن يسعى في المحاكم لذلك ولكن فاضل آثر الهرب والاستسلام والبعد عن المشاكل وتنازل عن رؤية ولده منتظرًا أن يحنو عليه القدر يومًا ويسهل له رؤية ولده دون مشاكل.

إلى هنا كانت الملائكة تشاهد ذلك التسجيل الحي للأحداث التي مضت بين الزوجين "سهام" و"فاضل" حاولت الملائكة استنتاج الحكمة مما حدث لهما.

وكيف سيصلح الرب بينهما؟ إن العلاقة بينهما متوترة للغاية أو بالأحرى بين العائلتين فقد لجأت "سهام" إلى القضاء للحصول على مستحقاتها فكانت لا تثق في الجلسات الودية العرفية أبدًا، كيف للرب أن يؤلف بين تلك القلوب المتخاصمة؟

كان الرب يسمع تهامس الملائكة فابتسم وأمرهم للمثول أمامه ليريهم كيف سيصلح بين الزوجين المتخاصمين؟ حضرت الملائكة في خشوع شديد وخروا ساجدين تحت عرش الرحمن، فأشار لهم بالنهوض، أمر الرب في حضور الملاك الموكل بابتلاء البشر بالأمراض، فحضر على الفور.

تعجبت الملائكة من طلب الرب، ابتسم الرب وأمر ذلك الملاك بأن يصيب كليتي "سهام" بالسرطان وأن تكون الإصابة لا علاج لها، انطلقت شهقة تعجب ودهشة من الملائكة عندما سمعت ذلك من الرب، نظر لهم الرب نظرة معاتبة فانزوت الملائكة جانبًا.

طار الملاك في لمح البصر وأصاب كليتي "سهام" بمرض السرطان المنتشر جدًا في هذا العصر، شعرت "سهام" بالتعب الشديد فصرخت ثم غابت عن الوعي لتجد نفسها على فراش بارد وألم يعتصر كليتيها، همهمات بين مجموعة من الأطباء حول فراشها لم تتبين ماهية تلك الهمهمات من شدة الألم الذي يعصف بها. ميزت فقط صوت بكاء أمها وأخواتها، لم تشعر "سهام" بالقلق من

بكاء أمها فهي تعلم أنها كثيرًا ما تبالغ في ردة فعلها عندما تصاب إحدى بناتها بمرض ما.

لكن القلق والوجوم الذي يعتلي الأطباء غير تلك الفكرة تمامًا يبدو أن الأمر خطير حقًا وأنها قد تكون مصابة بمرض خطير، فانطلق من شفتيها سؤال مفاجىء وقالت: ما الذي أصابني يا دكتور؟ لماذا أمي تبكي بشدة هكذا؟

ارتبك الأطباء فكان من الصعب على الطبيب أن يخبر المريض بأنه على وشك الموت وأنه يحتاج إلى معجز للشفاء.

في تلك الأثناء كان "فاضل" يجلس في شرفة منزله بالقرية يشعر بالقلق يعصف وجدانه لا يعلم سبب هذا القلق، لكن راوده هاجس بأن طفله قد يكون مريضًا، فحاول أن يعرف ذلك من خلال إحدى صديقاتها التي كانت تتبع أخبارها وتخبره فأمسك هاتفه ليبحث عن رقمها ولكن تلك الصديقة بادرته بالاتصال، فاستجاب لاتصالها وفتح الاتصال، انساب صوتها المذعور المختلط ببكاء حار وقالت بجذع: إن "سهام" في العناية المركزة حالتها خطيرة، مريضة بالسرطان وحالتها ميئوس منها إذا لم تجد كلية مناسبة ومتطابقة معها فكليتيها أصيبتا بالسرطان وفي مرحلة

متأخرة. استمع "فاضل" لحديث الصديقة بذهول ووجوم تام، انخرست الحروف وانحبست الكلمات داخل جوفه، وقع الهاتف من يده فخرجت البطارية وانغلق الهاتف.

دارت رأس "فاضل" وغاب عن الوعي، دخلت والدته فوجدته كذلك، جاء الطبيب وفحصه وقام بإفاقته، كان يهذي باسمها "سهام" .. "سهام لا ترحلي لا ترحلي".

ارتسم الغضب على وجه والدته التي ما أن سمعت اسمها، لعنتها وسبتها فهى سبب عذاب ولدها من وجه نظرها.

قال الطبيب: لقد تعرض لصدمة عصبية، من "سهام" تلك؟

قبل أن تجيب والدته على سؤال الطبيب، بادره "فاضل" قائلاً في صرامة: إنها زوجتي وهي تحتاج لوجودي معها الآن. ثم نهض مسرعًا وارتدى ملابسه، حاولت والدته محاولة مستميتة أن تثنيه عن ذلك، فهو مازال مريضًا.

ولكنه أصر على الذهاب إليها، فسأل عن هاتفه فأعطاه أخوه الأكبر هاتفه بعد أن أصلحه، اتصل "فاضل" بالصديقة التي أخبرته عن مكان المشفى الموجودة بها زوجته السابقة، وصل

"فاضل" إلى المشفى ولكنه لم يستطع رؤيتها، فكانت والدتها في غرفتها فآثر آلا يدخل حتى لا يتم الاصطدام بينهما.

بحث عن الطبيب المعالج لها فوجده في غرفة الأطباء استأذن ودخل الغرفة، استقبله الطبيب بابتسامة مقتضبة ودعاه إلى الجلوس، قال "فاضل" بصوت مبحوح لديكم مريضة تدعى "سهام" كانت زوجتي علمت اليوم أنها مريضة وحالة ميئوس منها هكذا قيل لي، أريد أن أتحقق مما قيل لي هل هذا صحيح؟

كان يتمنى "فاضل" من قلبه أن ما سمعه من الصديقة مجرد مزحة سخيفة وأن زوجته السابقة على ما يرام ولكن تلك النظرة التي تعلو الطبيب خيبت رجاءه.

انفجر باكيًا وتوسل للطبيب بأن يجري الفحوصات عليه لعل كليته تناسب زوجته ويستطع انقاذها ويحل مشكلتها هذه المرة لعله يكفر عن ظلمه لها.

سأله الطبيب: هل بينكم قرابة؟ أجاب "فاضل" إطلاقًا.

عاد الوجوم يعتلي قسمات وجه الطبيب وقال: غالبًا لن نجد تطابق بينكما، والدتها وأخواتها وأقاربها لم يكونوا مطابقين لها وهذا

أمر عجيب جدًا لم أره من قبل، فكيف سيتطابق أنسجتها مع أنسجتك؟!

انفجر "فاضل" باكيًا ثم قال: أتوسل إليك جرب لن نخسر شيئًا.

- حسنا فلتأتِ في الصباح سأخبر المختص بتلك التحاليل بمجيئك غدًا.

تنهد "فاضل" ثم قال: حسنًا سأنتظر للصباح. ثم انطلق إلى أحد أصدقائه ليبيت الليلة في منزله. قضى "فاضل" ليلته يصلي متضرعًا لله بأن تكون نتائج التحاليل لصالح زوجته "سهام".

غفا "فاضل" للحظات وهو ساجد، رأى في تلك الغفوة أنه في مكان واسع، الجدران خالية إلا من بعد النقاط السوداء، تساءل أين أنا؟ انطلق صوت عميق لم يدرِ من أي اتجاه قد جاء فالصوت يأتي من جميع الاتجاهات صوت عميق وقوي أشعره بالرهبة وسرت رجفة قوية في أوصاله، ردد الصوت: أنت في بوتقة حياتك تلك النقاط السوداء هي الابتلاءات التي قُدِّرت لك، تعجب "فاضل" وقال: ولكن تلك النقاط الصغيرة قليلة وصغيرة مقارنة بما عشته فعلاً في حياتي.

ضحك الصوت قائلاً: إنها كذلك ولكنك عندما هربت من مواجهتها تفاقمت. بدأت النقاط السوداء تتوسع وتنتشر حتى ملأت كل الحوائط، أردف الصوت قائلاً: انظر وتدبر.

هذا ما يحدث عندما يهرب الرجل من الابتلاء تزداد مشاكله وتصير حياته جحيمًا فأنت لم تكن تفعل شيئًا سوى الهروب من ذلك الابتلاء وتلك المشكلة، والآن تدعو ربك بأن يشفي زوجتك السابقة! يا لك من غر ساذج لم ينضج بعد، أنت السبب فيما وصلت إليه من المرض، كانت بين يديك وتحت رعايتك فظلمتها وحملتها ما لا تطيق.

كان بوسعك حل مشكلتها مع أهلك، كان من الممكن أن تنتهي المشاكل بلمح البصر ولكنك آثرت الهروب كالمعتاد.

أطرق "فاضل" رأسه خجلاً وندمًا من كلام الصوت وتوبيخه هكذا، فهو فعلاً لم يفعل شيئًا في حياته سوى الهروب.

أكمل الصوت حديثه وقال بلهجة صارمة مخيفة: أنت من الممكن أن يلبي الرب دعوتك وتشفي زوجتك تمامًا ولكن يجب أن تصلح كل ما تسببت فيه من خراب بسبب هروبك فزوجتك وولدك أمانة لديك لم تصنهما في أول الأمر ولكن سأعطيك

فرصة لتصلح ذلك. خر "فاضل" ساجدًا شاكرًا ثم قال: وأنا أعد الرب بأني سأصون أمانته ما دمت حيًا. استيقظ "فاضل" فجأة من غفوته على صوت آذان الفجر، فانطلق إلى المسجد ليصلي الفجر في جماعة.

انتهت الصلاة، اتخذ "فاضل" مكانًا بالقرب من مصلى الشيخ الذي يؤم الناس في الصلاة وقام ليصلي ويدعو الله لتكون التحاليل في صالح زوجته، كان المؤذن نسي أن يغلق مكبر الصوت، كان "فاضل" قد انفصل عما يحيط به تمامًا لأول مرة يصلي بخشوع هكذا، بدأ يناجي ربه بصوت نادم مبحوح باكي وبدأ يبوح بتوبته عما كان فيه، بدأ يتوسل إلى ربه ويقول: يا رب اشفِ لي زوجتي لن أظلمها بعد اليوم، يارب أعطني فرصة لكي أصلح أخطائي، يا رب اجعل كليتي تتطابق معها وتشفى، يا رب أعدك بأن أحافظ عليها، لن أفرط فيها وفي أسرتي، أعطني الفرصة يا رب، أعطني الفرصة يا رب.

لم ينتبه "فاضل" إلى مكبر الصوت ولكن إمام المسجد وبعضًا من المصلين الذين مكثوا ليسألوا شيخهم عن بعض المسائل، تنبهوا إلى ذلك المُصلي البائس، كان صوت "فاضل" يتردد خارج

المسجد أيضًا، توقفت السيارات عن الحركة، انفعل راكبو السيارات وكذلك المارين الذين مروا بجوار المسجد، خرج الناس من البيوت والعمارات المحيطة بالمسجد، الجميع ذهب للمسجد ليكونوا على قلب رجل واحد ويصلوا ويساندوا هذا الرجل الملتاع، توافدت الجموع والجميع يبحث عن ذلك الرجل. اصطف الناس خلفه وقاموا بالصلاة والدعاء لزوجته، دوى صوت المصلين بشدة حتى اخترق جدران المسجد وصعدت إلى السموات السبع اهتزت السموات، هنا ابتسم الرب وقال: حسنًا لبينا دعوة الجميع وكتبنا الشفاء لسهام بتطابق كلية "فاضل" معها، قضي الأمر.

تهللت أسارير الملائكة فرحة بما سمعوا من كرم الله. تابعت الملائكة المشهد من بعيد، حين انتبه "فاضل" إلى الصوت المدوى حوله ونظر خلفه فوجد غفير من الناس يصلون ويدعون لزوجته ارتسمت الدهشة على وجهه. اخترق الصفوف بصعوبة وقال يجب أن أذهب إلى المشفى لكي أجري التحاليل اللازمة، تركه الناس ليذهب وهم أيضًا ذهبوا إلى حياتهم، ولكن كان هناك صحفيا مبتدئا تتبع "فاضل" إلى المشفى ليعرف هل دعوته قد

استجابت أم لا؟ هذا الصحفي كانت لديه مشكلة عقائدية حول إجابة الله للدعاء دفعًا للبلاء، فكان يبحث عن نموذج حي لإجابة الله للدعاء دفعًا للبلاء فهو لم يقتنع بما قرأه عن هذا الأمر، هل الدعاء فعلا قد يغير القدر، هل الدعاء يصنع المعجزات؟، كانت هناك قضية جدلية تؤرقه منذ الصغر فكان يعتقد أن قضية رد الدعاء للقدر وهمًا فلم يصدق ذلك، لذا لفت انتباهه تلك الحالة وأراد أن يتتبعها لعله يجد ما يقطع الشك باليقين هذه المرة.

استمرت التحاليل والفحوصات ساعات، وانتظار النتائج ساعات أخرى كان "فاضل" واثقًا تمامًا أن الله قد لبى دعوته، فقد وعده ذلك في منامه وهو يصدق ما رآه ويؤمن به.

قرأ الطبيب التقارير الطبية عشر مرات لم يصدق ما قرأه، ثم صاح مثل الطفل الصغير الذي وجد لعبته المفضلة الضالة، إنها متطابقة تمامًا، هذا عجيب حقًا كأنهما توأم، حتمًا القدر يريد لها الحياة لم يحن يومها بعد.

انطلق الطبيب بسرعة إلى غرفة "سهام" وقد انفرجت أساريره كانت "سهام" قد تدهورت حالتها ولكنها واعية إلى حد ضعيف

لما يدور حولها، اقترب منها الطبيب وهمس قائلا: لقد وجدنا متبرعًا بكلية متطابقة تمامًا لك، سننقلها لك في أقرب وقت.

كانت "سهام" تعتقد أنها تهذي وأن عقلها الباطن قد لفق ما سمعته الآن. تركها الطبيب واتجه إلى والدتها وأخبرها بكل شيء، وأن العملية ستتم اليوم. لم يكن بوسع الأم أن تقبل أو ترفض المتبرع بعد أن عرفت من هو، فإنقاذ طفلتها أهم حتى لو كان الشيطان هو المتبرع.

هاتف الطبيب "فاضل" وقال له: "هل أنت مستعد للتبرع الآن بكليتك؟، هناك أوراق يجب أن توقع عليها قبل إجراء العملية". سقط قلب "فاضل" من الفرحة فخر ساجدًا فقد فهم مغزى حديث الطبيب أن الله قد استجاب لدعائه وسيتم شفاء زوجته وعليه أن يفي بوعده ولن يهرب بعد اليوم من مواجهة أي ابتلاء. مرت تلك الأحداث أمام عيني "شهاب" الصحفي الذى أصر أن يتابع كل هذا. لم يؤمن تمامًا بأن الدعاء قد يرد القضاء فهمس الشيطان بهواجس قائلا: وماذا لو تطابقت كليته مع زوجته يمكن أن تموت أثر حادث سيارة أو لسبب آخر فالدعاء هنا رد المرض وليس دفع الموت. هنا تسربت الشكوك مرة أخرى إلى

نفس "شهاب" ولكن الفضول البشري والصحفي أجبره أن يتابع تلك القصة لنهايتها فهي لم تختم بعد.

"تمت العملية بنجاح" انطلقت هذه الجملة من فم الطبيب المعالج لسهام، فرح الجميع، خرجت إحدى الممرضات تقود الفراش المتنقل الذي تنام فوقه "سهام" لتتجه إلى العناية المركزة ثم تبعها خروج "فاضل" بعد أن اطمئن الطبيب على حالة "سهام" و"فاضل" طلب من أهلها بعدم البوح لسهام بهوية المتبرع حتى تنسجم الكلية وتعمل بشكل طبيعي، فمن الممكن أن يرفض جسمها الكلية عندما تعلم بأن المتبرع زوجها السابق الذي سبب لها آلامًا نفسية مازالت تعاني منها حتى الآن.

وافق الجميع على ذلك، استمر وجود "سهام" في المشفى لمدة شهر لم تر فيها المتبرع ولم تعلم عن هويته شيئًا حتى الآن، كانت "سهام" تفكر كثيرًا في زوجها السابق وبدأت تشعر تجاهه بالحنين إليه، لم تعلم سبب هذا الحنين المفاجىء له.

دخل الطبيب ليطمئن عليها ويخبرها بهوية المتبرع أخيرًا، فقد اطمئن على عمل الكلية بنجاح تام. ابتسم لها الطبيب ودنا منها ثم قال: ألا تريدين معرفة هوية المتبرع يا سهام؟

أجابت سهام: بلى، من هو ؟ متشوقة لشكره، ربت على كتفها ثم قال بلهجة مرحة: ادخل يا سمسم، أطل "فاضل" ودخل الغرف كان يغطى وجهه بباقة زهور حمراء المفضلة لزوجته "سهام"، أشاح "فاضل" باقة الزهور عن وجهه بحركة مسرحية مضحكة ثم قال: الحمد لله على سلامتك يا حبيبة القلب.

اختلج قلب "سهام" بمشاعر متناقضة ولكن غلب الحب تلك المشاعر وانتصر فابتسمت وقالت: حسنا إنه أنت المتبرع! إذن سبب الحنين إليك فجأة أن إحدى كليتيك بداخلي. انحنى "فاضل" بحركة مسرحية ثم قال مداعبا: نعم، إنها أمانة لديك لا تشربى الكحول من فضلك.

انفجر الجميع من الضحك ثم صاح "فاضل" قائلا: المأذون إنه بالخارج قد نسيت أمره، استسلمت "سهام" لرغبة زوجها السابق في العودة، كان "فاضل" قد واجه أهله بقرار تبرعه بكليته وبعودته إليها وأنه سيسكن بعيدًا عن أهله وعن أهلها سيسكنون في مكان محايد ووعدهم بأن يزورهم مرة أسبوعيًا ووعد أهل زوجته بأنها تزورهم مرة أسبوعيًا حتى يذوب الجليد بين العائلتين، وقد وعد "سهام" بأنه لن يخذلها بعد اليوم، ذهبت

"سهام" مع زوجها بمرافقة ولدهما الحبيب، مرت شهور على هذا الحدث الجلل، كان الصحفي "شهاب" قد راقبهما وبدأ الإيمان يتسرب إلى قلبه والشكوك تنحسر، فقد كان قلبه متقلبًا مدًا وجزرًا بين اليقين بأن الدعاء يرد البلاء فقد كان يخلط بين البلاء والقدر فهناك أشياء مقدرة مثل الموت لا يمكن دفعها بالدعاء بل يمكن أن يدفع الدعاء سوء الخاتمة فبقدر الصدق في الدعاء والإيمان بأن الرب سيلبى الدعوة وباليقين بأن الله إذا لبى الدعاء فيجب أن نأخذ بالأسباب.

تمَّت

***